كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فصل ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها
بحيث لا تبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة
بوجه ما وهذا المنصب خاص للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم
ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي
الصحيح عنه قال لو كنت متخذا خليلا من اهل الارض لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله وفي حديث اخر اني ابرا الى كل خليل من خلته ولما سال ابراهيم
الولد فاعطيه وتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون
في قلبه موضع لغيره فامره بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ الامر به
اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من
قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل الى الامتثال وقدم محبة ربه على
محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدى بذبح عظيم فان الرب تعالى
ما امر بشيء ابطله راسا بل لا بد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا
وكما ابقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى الخمس الصلوات بعد رفع
الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر
فصل واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين
ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله فصل
وقد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه ويهواه ولكن يترك اضعفهما
محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة
ما يفعله او لخلاص من مكروه كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم

ان خاصة

٨٠

ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين على ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما
وتقدم ان هذا لكمال قوة الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك
وشجاعة القلب فان المتخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون اما لضعف الادراك
بحيث انه لا يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس
وعجز في القلب لا يطاوعه على ايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه
وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه الادنى فقد
وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فيقهر الغالب للضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله
اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتابا
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطبا عديم
المروة فهكذا اكثر مرضى القلب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له
فاصل الشر من ضعف الادراك وقوة النفس ودناءتها واصل الخير من كمال
الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها فالحب والارادة اصل كل فعل و
مبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه وهاتان القوتان في
القلب اصل سعادة العبد وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا يكون الا
بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر
والنهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول
الاشتباه في مسالة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه
قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى
السبب المانع من الفعل وجودي فصل وكل واحد من الفعل و
الترك الاختياري انما يؤثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي يلتذ
بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفا بزواله ولهذا يقال شفا صدره
وشفا قلبه قال الشاعر هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول
وهذا مطلوب يؤثره العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)